إشكالية تعريف القيمة فى فلسفة " ستيفن كوبرن بيبر (١٨٩١م ـ ١٩٧٢ م) " دراسة تحليلية نقدية في فلسفة القيم.

اسم الباحث

معتز أحمد أحمد ابراهيم ابو الخير

مدرس مساعد ـ قسم الفلسفة

كلية الآداب ـ جامعة المنصورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد.

(أولاً) : إشكالية طبيعة القيم عند " ستيفن بيبر ".

(أ) إشكالية النسبي والمطلق في القيمة.

(ب) إشكالية الذاتية والموضوعية في القيمة .

(ثانيًا) إشكالية تعريف القيمة :

(أ) إعتماد " ستيفن بيبر " على التعريف الوصفي .

- **النوع الأول : التعريف الإسمي A nominal definition .**
- **النوع الثاني : التعريف التعادلي Equational definition.**
- **النوع الثالث : التعريف الوصفي Descriptive definition.**

التعقيب...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد...

لقد كان موضوع القيم ولا يزال مجالاً خصبًا للدراسات الفلسفية التى تقوم على فكرتى التأمل والتجريد من الماديات، فموضوع القيم من الموضوعات التي تقع فى دائرة عديد من التخصصات المختلفة مثل : الفلسفة والدين، التربية، الإقتصاد، علم الإجتماع، وعلم النفس. ورغم أهمية موضوع القيم بوصفه أحد الموضوعات الأساسية فى مجال علم النفس الإجتماعي، إلا أنه قد تأخر الإهتمام بدراستها بوجه عام وربما يرجع السبب فى ذلك إلى اعتقاد البعض بأنها تقع خارج نطاق البحوث الأمبريقية، حيث انه من الصعب قياسها وتحديد أبعادها وعلاقتها بغيرها من المتغيرات.

هذا على النقيض من الدور الحقيقي لفلسفة القيم، فدراسة فلسفة القيم من أهم الدراسات الفلسفية الحديثة والمعاصرة وأكثرها جذبًا للإهتمام باعتبارها تدور أساسًا حول الإنسان ونظرته لنفسه وللوجود وعلاقته بغيره.

لذا ينبغي لأى محاولة لتأسيس فلسفة للقيمة أن يتوافر فيها فِهمُ عام لماهية ولطبيعة القيمة، ولهذا يبدوا من الطبيعي أن يبدأ أي فيلسوف بوضع تعريف دقيق للمفهوم الذي نحن بصدد بحثه؛ حيث تعتبر تلك الإشكالية هي الإشكالية الأساسية فى النظرية العامة للقيمة، وبعبارة آخري إشكالية إيجاد تعريف عام يشمل كل صور القيمة وألوان القيمة من قيمة جمالية أو دينية أو أخلاقية... الخ.

ويعد الفيلسوف الأمريكي " ستيفن كوبرن بيبر " واحدًا من المهتمين بهذه الإشكالية، الذي لم يري بديلاً عن استخدام المنهج الوصفي لتبرير تعريفات القيم عنده من خلال إستخدام المعايير التقييمة المختلفة. هذا المنهج الذي قد يراه البعض غير مناسب لماهية القيمة التى هي مثالية فى أغلب الأحيان، مما قد يُعرضه لكثير من الانتقادات.

ومن ثم يدور هذا البحث حول الاجابة عن التساؤل التالي : **ما الإشكاليات الناتجة عن تعريف " ستيفن كوبرن بيبر " للقيمة ؟، وما طبيعة القيمة عنده ؟.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(أولاً) : اشكالية طبيعة القيم عند "ستيفن كوبرن بيبر"(*):

يتمثل الحوار فى فلسفة القيم فى مقابلة ما هو كائن بما ينسحب عليه من قيمة تكون موضوع تقديرنا للشيء. ومن ثم لزم أن نُصنف بين أساسين للقيمة : الوصف Description، والتقدير Appreciation. بمعني آخر يجب أن نميز بين وصفنا لما هو كائن بالفعل، أي إصدار أحكام تقريرية عنه، وتقديرنا الذاتي أو الشخصي لقيمة هذا الشيء الكائن بالفعل بما نصدره من أحكام حوله. (١)

ولقد انعكست هذه الأسس على جميع المدارس التى تناقش قضية القيمة مثل: المدرسة الألمانية أو الأمريكية... الخ، فجميع المدارس الفلسفية تتفق على أن أحكام القيم

(*) ولد " ستيفن كوبرن بيبر " في الرابع من شهر أبريل عام (١٨٩١ م) بمنطقة نيوأرك Newark بولاية نيوجيرسي New Jersey، وتوفي فى الأول من مايو عام (١٩٧٢م) منطقة بيركلي Berkeley بولاية كاليفورنيا California. كانت عائلة " ستيفن بيبر " عائلة فنية وأكاديمية؛ إذ كان جده لأبيه يعمل وزيرًا بالإضافة إلي عمله كعميد لكلية كولبي Colby College، أما أبوه فكان فنانًا مشهورًا، أُشتهر برسم اللوحات الفنية. وقد أمضي " ستيفن كوبرن بيبر " معظم طفولته فى كونكورد Concord وماساشيوسيتش Massachusetts ما عدا سنواته الأولي السته التي قضاها فى باريس.

إلتحق " ستيفن كوبرن بيبر " بجامعة هارفارد Harvard الأمريكيه، وحصل علي شهادة البكالوريوس في عام(١٩١٣ م)، ثم الماجستير في عام (١٩١٤ م)، ثم الدكتوراه فى الفلسفة عام (١٩١٦م)؛ وكانت تحت عنوان " نظرية القيمة في ضوء المثير أو المنبه Stimulus والمستجيب Response ". بعد التخرج قام "ستيفن كوبرن بيبر " بالتدريس لمدة عام في جامعة " وليزلي Wellesley "، ثم بعد ذلك تقدم للخدمة العسكرية كضابط أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي عام (١٩١٩م) التحق بقسم الفلسفة " بجامعة كاليفورنيا " ببركلى، ثم تقاعد فى عام (١٩٥٨ م)، وفيما بين عامي (١٩٣٩م) إلي عام (١٩٤٧ م) شغل منصب وكيل كلية الفنون والعلوم Arts and Science كما شغل منصب رئيس قسم الفلسفة من (١٩٥٢ م) إلي (١٩٥٨ م).

وبعد تقاعده، قام بالتدريس كأستاذ زائر في الحرم الجامعي في كل من : جامعة طولون Tulane، جامعة كارليتون Carleton، جامعة ويليامز Williams، بالإضافة إلي جامعة سان ديجو San Diego، جامعة سانتاكروز Santa Cruz.

أما من حيث الجوائز التي حصل عليها " ستفين بيبر "؛ فقد حصل علي العديد من الجوائز الشرفية مثل (LHD) من جامعتي كولبى وطولون ، وحصل كذلك علي جائزة (LLD) من جامعة كاليفورنيا، بالإضافة إلي عضويته في بعض المنظمات والهيئات، كما عمل كرئيس للجمعية الفلسفية الأمريكية الفرع الخاص بالمحيط الهادىء Pacific، وذلك فى الفترة من (١٩٣٥م) وحتى (١٩٣٦م).

(Cp; John R. Shook (eds): The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol.4, Thoemmes Continuum, 2005, Pp. 1905-1906).

- (انظر كذلك : رمضان الصباغ : النظرية الجمالية السياقية عند ستيفن بيبر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٤م، ص ٩ -١٠).

(1) هنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة : فؤاد زكريا، ط ٢، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٤٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينبغي أن تتميز عن أحكام الواقع (مثلما يتميز الحكم " هذا الكتاب جيد " عن الحكم " هذا الكتاب فوق المنضدة "). [١]

ونتيجة لهذا الاختلاف بين ماهو كائن بالفعل ؟ وما ينبغي أن يكون ؟؛ ظهرت عديد من الإشكاليات لعل أبرزها: إشكالية النسبي والمطلق، والذاتية والموضوعية.

(أ) إشكالية النسبي والمطلق في القيمة:

ولعل أعظم الخلافات هي تلك التى ارتكزت حول مسألة طبيعة القيمة، حيث السؤال حول ما إذا كانت القيم ذاتيه أم موضوعية ؟، وهل القيم نسبية متغيرة تعد وسائل إلى غايات أبعد منها (كالثورة التى تطلب لتحقيق السعادة) ؟، أم أنها قيم مطلقة ثابتة ينشدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لأغراض يُبْتغي من ورائها شيء(كالسعادة التى تعد خيرًا فى ذاتها) ؟. [٢] فليس كل من أقر بموضوعية القيم يسلم أيضاً باطلاقها. وليس كل من يقول بذاتيتها مُقرًا بنسبيتها متي انطوت الذاتية في نظره علي سمات مشتركة بين البشر يتكافأ نصيبهم منها بصورة مطلقة. [٣]

ومن ثم يظهر نوعان من القيم (وفقًا لطبيعتها):

- **الأول** : صنف يُلتمس لذاته وهو " القيم المطلقة "؛ ويُطلب كغاية ويكون مطلقًا لا يحده زمان ولا مكان. ويطلق عليه إسم القيم الباطنية الذاتية Intrinsic Values، فجمال الزهرة يُقوّم لذاته ونشأت من خلاله مشاكل فلسفية فى عالم القيم. ومن ثم ــ يري الباحث ــ أن هذه القيم المطلقة مثل: الحق، الخير والجمال. فالإنسان حين يرغب في تحقيق مثل هذه القيم يكون ذلك علي نحو مجرد تمامًا من الاعتبارات الشخصية، إذ إننا نبحث عن الحقيقة من أجل ذاتها، وليس في وسع أحد أن يغير منها شيئًا. لذا تعتبر القيم المطلقة معيار ذاتها.
- **الثاني** : صنف نسبي [*] ينشده الناس كوسيلة لتحقيق غاية، ولهذا يختلف باختلاف حاجات الناس ومطالبهم، فقيمة العربة مرهونة بما تؤدية من

---

(1) زكريا إبراهيم : مبادئ الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٥٩.

(2) Schiller,F.C.S : Value (In) Encyclopedia Of Religion and Ethics, Vol.12 ,(Ed) by: James Hastings, London , 1934, P.584.

(٣)صلاح قنصوه: "نظرية القيمة في الفكر المعاصر"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٨١م، ص ص ٤٦ - ٤٧.

(*) يري "رومان انجاردن" Roman Ingarden (١٨٩٣م ــ ١٩٧٠م) ــ فيلسوف بولندي، اهتم بالفينومينولوجيا والأنطولوجيا وعلم الجمال. من أهم مؤلفاته : " الحدس والعقل عند هنري برجسون"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خدمات، والمال لا تكون له قيمة إلا من حيث هو وسيلة لكثير من الأمور المرغوب فيها في الحياة.ويطلق عليه القيم الخارجية Extrinsic Values or Instrumental Values. [١]

ومن ثم يعتمد هذا الصنف على الأفراد، حيث تختلف القيم تبعًا لاختلاف العادات والتقاليد الخاصة بالأفراد من مجتمع لاخر؛ حيث قد ينتج عنها العديد من القيم والعادات الأخلاقية التي تبدو للبعض غريبة، ومختلفة عن البعض الآخر الذي يراها مألوفة. فعلي سبيل المثال لا الحصر: لا يزال حتى الآن بين القبائل البدائية أشياء غريبة وعادات وحشية قد يرفضها الآخرون، فعندما تعانى القبيلة من قلة الطعام وندرة الموارد التى لا تكفي للقبيلة ككل ، فإنهم لا يترددون في وضع المسنين في مواجهة الموت مع إقامة الشعائر المناسبة لهذا الموقف. [٢]

ومن ثم تتضح النسبية فيما يقوم به أهل القبيلة مع المسنين، فهذا الفعل تنتفي معه معني القيمة لدي الآخرين، لكن عند هذه القبيلة فهو قيمة فى حد ذاته حيث إنهم يحافظون علي بقائهم بِــوأد الكبار في السن !

*** **ننتهي من ذلك الي أن مساوئ النسبية عديدة وجمة** : فهذا المذهب ينكر وجود حق يجب أن يكون مطلقًا لا يتقيد بزمان ولا مكان، إنه يرفض القول بالحقائق والقيم المطلقة شأنه في هذا شأن المذهب السوفسطائي القديم ــ مثل بروتاغوراس (٤٨٥ ق.م ــ ٤١٠ ق.م) Protagoras وجورجياس (٤٨٥ق.م ــ ٣٨٠ق.م) Gorgias ــ كلاهما يري أن الحقائق جزئية نسبية وليست مطلقة، متغيرة وليست ثابتة، وإن كان

١٩٢١م)، " الجدل حول الوجود في العالم " (١٩٦٤م)، " الإدراك في العمل الفني " (١٩٦٨م) ــ أن **كلمة نسبي** Relative فيما يتعلق بالقيم Values تُقال للدلالة علي خمسة معانٍ مختلفة، ومن بينها الآتي: "تكون القيمة نسبية إذا قام شيء أو إنسان صاحب قيمة بالنظر إلي شيء آخر، ولَم يكن كذلك بالنسبة إلي غيرهما. فطعام ما قد يكون له قيمة لدي نوع من الحيوانات، ومن الممكن أن لا تكون له أدني قيمة لدي نوع آخر، أو تكون له قيمة أخري. فالقيمة "في ذاتها" وفي ماهيتها نفسها تشتمل حسب هذا المعني علي نسبية خاصة، يمكننا أن نقول عنها: إنها مثل لحظة نسبية أو إضافية لها وجود يحدد الشيء الذي له قيمة، ولكن هذا الشيء الذي يتصف بها يتصف كحد من نسبة شيء ما إلي شيء آخر، لا كواقع معزول في ذاته، لا علاقة له بغيره.

ــ (انظر؛ الربيع ميمون: نظرية القيمة في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م، ص ص ١١٥ – ١١٦).

(1) توفيق الطويل : أسس الفلسفة، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، **١٩٥٨م**، ص 305. (بتصرف).

(٢)Dewitt H.Parker, The Philosophy of Value, Ann Arbor: the University of Michigan,U.S.A, 1957., p. 210.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المذهب السوفسطائي يجعل الفرد معيار الحقائق ومقياس القيم ــ بينما يرد المذهب العملي عامة هذا المقياس إلى الفرد، كما يجعل القيم ــ من حق أو خير أو جمال ــ تتغير في الأمة الواحدة بتغير الزمان، وتختلف في العصر الواحد بإختلاف الشعوب والجماعات. (١)

وبصفة عامة يمكن ايجاز مساوئ النسبية في التعددية والتعارض والصراع بين القيم، لكن ما الذي يجب فعله عندما نجد هناك تعارضًا بين القيم الخاصة بي وقيم الآخرين ؟.

ومن ثم يتفق الباحث مع " ديويت هنرى باركر (De Witt Henry Parker١٨٨٥م ــ ١٩٤٩م) " (*) أن أفضل حل لتلك الصراعات هو "الحل الوسط " والذي يعني التنازل عن بعض الأمور من أجل العيش فى سلام؛ فعلى سبيل المثال : الحصول علي نصف رغيف من الخبز مع السلم أفضل من رغيف كامل مع صراع ونصر، أو أفضل من لا خبز علي الاطلاق مع صراع وهزيمة هو تحقيق الاتفاق بين الصراعات التي قد تنشأ بين الميول والاتجاهات المختلفة. (٢) ولكن يُشترط لمفهوم الحل الوسط وجود ضامن له. وذلك؛ لأنه من المعروف أن الحل الوسط ناشئ بين طرفين متنافسين، فلابد من وجود ضامن بينهما لقبول هذا الحل. وهذا الضامن هو " الحب "؛ فالحب هو الموحد الأعظم لجميع القيم والرغبات، كما يمكن للحب أن يتخلل في كل علاقتنا وأعمالنا بحيث تكون مثالاً للتكامل. (٣)

---

(١)توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص ٣١٩.

(*)ولد "ديويت باركر" في نيويورك، في ١٧ أبريل عام ١٨٨٥م، والتحق في عام ١٩٠٢م بجامعة هارفارد، حيث درس على يد كلٍ من "وليم جيمس"، "جوسيا رويس" "جورج سانتيانا"، و"هوجو مونتسربرج". وقد عمل "ديويت باركر" بعد ذلك عام ١٩٠٨م في جامعة ميتشجان، مترقيًا في العام نفسه من درجة مدرس Instructor إلي درجة أستاذ Professor في عام ١٩٢٥م. وقد توفي بولاية ميتشجان Michigan، في ٢١ يونيه عام ١٩٤٩م. ومن أهم مؤلفاته : القيم الانسانية Human Value (١٩٣١م)، التجربة والجوهر Experience and Substance (١٩٤١م).

- (Cp; Douglas N. Morgan, In Memory of De Witt Henry Parker, the Journal of Aesthetics and Art Criticism, Vol. 8, No. 3 (Mar., 1950) Pp. 195 – 196.)

(٢)Dewitt H.Parker, The Philosophy of Value, P. 211.

(٣)Ibid, PP. 331 – 336.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ب) إشكالية الذاتية والموضوعية في القيمة :

ولقد تفرعت تلك الاشكالية من الإشكالية السابقة، وهي تدور حول التساؤل الآتى : هل القيم ذاتية أم موضوعية ؟ فقد اختلف الباحثون بصدد القيم: هل هي صفات عينية للأشياء؛ بمعنى أن لها وجوداً مستقلاً عن العقل الذي يدركها، أم أنها من وضع العقل واختراعه ؟ وأحدث الاتجاهات الفلسفية ــ فيما يقرر فولف Wolff , Christian Von [*] (١٦٧٩م ــ ١٧٥٤م) أستاذ المنطق بجامعة هال ــ تري أن هذه القيم عينية أكثر منها معانٍ عقلية، وإن كان من الفلاسفة من قال إنها نسبية خالصة مردها إلي الفرد، ومن ثم كان اختلافها باختلاف الزمان، المكان، الظروف، والأحوال، وبهذا الاعتبار يمتنع وجود حق بالذات؛ لأن الحق إنما يكون بالقياس إلي تفكيرنا أو شعورنا، ومثل هذا يُقال في الخير والجمال. [١]

وقد ظهر عديد من الفرق التي تهتم بهذا الشأن يمكن حصرها في فريقين كالتالي :

- **الفريق الأول: فريق الواقعيين** الذي يؤكد على موضوعية القيم والمعايير، ويُقر بموضوعية تقويمية، مثل موضوعية الكليات Universals [*] عند أتباع المذهب الواقعي في العصور الوسطي ــ مثل أنسلم Anslem (١٠٣٣م ــ ١١٠٩م) [**]وتوما الأكويني ــ وعلي رأس هذا الفريق أفلاطون الذي

(*) فيلسوف مثالي ألماني، نسق فلسفة ليبنتز وجردها مما فيها من جدل، كان أستاذًا في جامعة هال، وقد أحيا النزعة المدرسية (الاسكولائية). وأسس مذهبه علي منهج الإستنباط العقلي الذي يرد كل حقائق الفلسفة إلي قوانين المنطق الصوري، ويُعزي إليه ادخال المصطلحات الفلسفية إلى الفلسفة الألمانية مثل Begriff أو Concept وغيرها...

ــ (انظر في ذلك: روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم و جورج طرابيشي، ط٦، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، مادة : الفاء، ص ٣٥٩).

(١)توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص ٣٠٥.

(*) الكليات هي: الإسم الذي كان يطلق على الأفكار العامة فى فلسفة العصور الوسطي. وقد تركز النزاع حول الكليات على ما اذا كانت موضوعية وواقعية أو مجرد أسماء للأشياء؛ وما إذا كانت ــ من الناحية الآخري ــ موجودة " قبل الأشياء " ــ وجودًا مثاليًا ــ وهو ما كانت تعتقده الواقعية المتطرفة، أو موجودة " فى الأشياء "، وهو ما كانت تعتقده الواقعية المعتدلة وتوما الأكويني، أو ما إذا كانت ــ من ناحية آخري ــ لا توجد إلا فى العقل " بعد الأشياء " فى صورة بناءات عقلية، وهو ما كان يقول به المذهب التصوري أو أنها مجرد كلمات وهو ماكان يعتقده المذهب الاسمي المتطرف وروسيلين ووليام الأوكامى.

ــ (انظر؛ روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، مادة : الكاف، ص ٣٩٢).

(**) أنسلم؛ قديس ايطالي، أُشتهر بدليله الأنطولوجي علي وجود الله وعُين رئيسًا لأساقفة كنتربري (١٠٩٣م)، ولأنسلم دليل بسيط علي وجود الله عُرف باسمه، لا يستمده من الموجودات، بل من مجرد نظر المرء الي أعماقه، فكل منا يوجد الله في عقله، وكل منا لا يتصور ما هو أعظم من الله في عقله، وكل منا لا يقتصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جعل صورة الخير علي قمة عالم المثل، وجعل سائر القيم مشاركة فيها. وهذه المثل كلها وعلي رأسها مثال الخير، ليست مجرد تصورات ذهنية لا وجود لها إلا في الذهن، بل هي موجودة وجودًا حقيقيًا، ويعد الفيلسوف البريطانى "و. ر. سورلي" W. R. Sorly (١٨٥٥م ــ ١٩٣٥م) (***)من أنصار هذا الفريق، فهو يتجه إلي القيم الباطنية Intrinsic التي لا تُنسب إلي الأشخاص. وتعتبر هذه القيم الباطنة واضحة للجميع تمامًا، مثل القوانين العلمية التي يُجمع الجميع عليها بعد تبين حقيقتها، ومن بين هذه القيم الخير Goodness . (١)

- **الفريق الثاني: فريق الذاتيين** الذي يُنكر أن يكون للقيم وجود موضوعي، ولا ينسب إليها إلا وجودًا ذاتيًا، أي في النفس أو الشعور، كالإشباع أو أي حالة سيكولوجية آخري وعلي سبيل المثال: فقد أنكر " ديفيد هيوم David Hume (١٧١١م ــ ١٧٧٦م) " أن الجمال خاصية موضوعية Objective Quality، ووصفه بأنه رد فعلي عقلي Mental Reaction ، فقد كتب

وجوده علي العقل وحده؛ فالله موجود في العقل وفي الواقع، لكن الأحمق يُدرك أن الله موجود في عقله، ويلفظ في قلبه اسمه، لكنه ينكر وجوده في الواقع. ومن أهم مؤلفاته: " المناجاة Monologion "، " العظة Proslogion ".

ــ (انظر؛ عبد المنعم الحفني : موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ١، مادة: الألف، ط١، دار ابن زيدون، بيروت ، ب.ت، ص ١٩٨).

(***)سُورلي؛ ولد في سيلكيرك باسكتلندا، وكان أستاذاً للفلسفة الأخلاقية بجامعة كمبردج، وفلسفته مثالية، أقرب إلي كنطية " فندلباند Windelband " المحدثة و" مدرسة بادن " منها إلي المثالية البريطانية ــ تُنسب مدرسة فندلباند المحدثة الي " فليلهم فندلباند (١٨٤٨م ــ ١٩١٥م) " الفيلسوف المثالي الألماني المؤسس لما يسمي بمدرسة بادن الكانطية الجديدة، وكان مؤرخاً للفلسفة والمنطق وعلم الأخلاق ونظرية القيم. ذهب فندلباند الي أن العلوم الطبيعية " ناموسية " أي تسعي لوضع قوانين عامة بينما العلوم التاريخية " تصويرية " أي تتناول الجزئي والفردي. أما " مدرسة بادن Baden School " فهي واحدة من أكثر المدارس الكانطية الجديدة تأثيرًا في أوائل القرن العشرين. وإسمها مستمد من جامعتي هايدلبرج وفرايبورج وكلاهما في إقليم بادن. وقد بلغت في الأساس حد معارضة المنهج التاريخي بالمنهج العلمي الطبيعي، وكانت تقول إن التاريخ هو علم الوقائع الفردية للتطور. والعلم الطبيعي هو دراسة قوانين الظواهر الطبيعية التي تكون نفسها، والتي هي ظواهر عامة. وليس أي من هذين المفهومين انعكاساً للواقع، إنما هي تقلب الواقع إلي فكر تخضعه لمبادئ أولية (قبلية). فالعلم الطبيعي هو إدراك العالم، والتاريخ إدراك الفردي. و" مدرسة بادن "حُتذية حذو كانط تضع الوجود نقيضاً للضرورة. ويرتبط إنكار قوانين التاريخ بنظرية القيم ــ وذلك بحكم بحثه في مشكلات فلسفة القيمة ولاهتمامه بتاريخ الفلسفة.

ــ (انظر؛ المرجع نفسه : مادة: السين، ٧٥٥).

(١)عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦م. ص ص ١١٩ ــ١٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هيوم في: " بحث حول مبادئ الأخلاق [*] " لقد شرح " إقليدس Euclid " جميع خواص الدائرة، ولكنه لم يُقدم ولا حتي كلمة واحدة عن جمالها. والسبب جلي وواضح، فالجمال ليس خاصية من خواص الدائرة. لأنه فحسب التأثير الذي يحدثه الشكل في الذهن... ومن العبث أن تبحث عن الجمال في الدائرة، أو تتوصل إليه سواء عن طريق إحساسك، أو بواسطة العقل الرياضي ضمن جميع خواص الشكل. وحتي يأتي المشاهد، فإن الموجود هناك فحسب لا شيء ما عدا الشكل الذي يمثل هذه الأبعاد الخاصة وتلك الخواص، ومن انفعالات المشاهد وحدها تنشأ روعته وجماله. [١] فطبقاً للنص، يعتبر " هيوم " أن القيم الجمالية قيم ذاتية موجودة في الشعور أو الرغبة، وليست موجوده في الموضوع.

ـ ولقد بلور " ستيفن بيبر " هذا الخلاف بين " موضوعية ونسبية القيمة " أو " واقعية وذاتية القيمة " فى رؤيته الانتقادية للمدرستين " الحدسية " و " الانفعالية ".

فلقد لاحظ "ستيفن بيبر " وجود مدرستين تهتم بلغويات القيمة: [٢]

١. **المدرسة الأولي؛ مدرسة الحدس اللغوي Linguistic Intuition** [*] : ومن أبرز ممثلى هذا الإتجاه أعضاء مذهب " الحاسة الخلقية Moral Sense " [**]

(*)An Enquiry Concerning the Principles of Morals

(١) Hume.D: An Enquiry Concerning the Principles of Morals, Oxford University Press, London, 1902, Pp. 291 & 292.

(٢)Pepper, Stephen.C : The Sources of Value, Berkeley and Angeles, U.S.A, 1958.P.18.

(*) مذهب المعرفة الحدسية قديم قدم الفلسفة نفسها، وتعددت رؤية الفلاسفة للحدس، فمثلا هو :

١ ــ إدراك فريد للموجودات المثالية والتى تقارن بالوجود الحقيقي عن أفلاطون.

٢ ــ كما أنها تُعد بمثابة تقديس باطني عند " إكهارت ".

٣ ــ تُعد معرفة واضحة بذاتها عند الله أو الطبيعة عند " إسبينوزا ".

٤ ــ أداه للفهم والبقاء على الحياة عند " برجسون ".

٥ــ الحدس وعي للمعطيات المباشرة عند " سانتيانا ".

ـ (Cp; Hart. L. Samuel: Axiology- Theory of Values, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.32, No.1 (Sep.,1971), P.33.)

(**) يختلف مدلول الحاسة الخلقية عن مدلول حواسنا الخمس المعروفة؛ فإن هذه الحواس وظيفتها إدراك أعراض المحسوسات، أما الحاسة الخلقية فوظيفتها إدراك خيرية الأفعال وشريتها، وإصدار أحكام وتقويم هذه الأفعال، وهذه الحاسة قوة باطنة يُولد الإنسان بها من دون الحيوان، وهي تميز بطبيعتها بين الخير والشر، فتغير صاحبها بفعل أولهما وتحمله على تجنب ثانيهما دون انتظار الجزاء ــ من نفع أو ضرر، لذة أو ألم،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مثل؛ "شافتسبيري Shaftesbury, E " (١٦٧١ م ــ ١٧١٣ م) [*] و " هاتسون Hutcheson,F " (١٦٩٤م ــ ١٧٤٧ م) [**] و " بتلر " Butler, J (١٦٩٢م ــ ١٧٥٢م) [***] و " كذلك جورج مور " G.E.Moore " (١٨٧٣م ــ ١٩٥٨ م) [***]. وتؤمن هذه المدرسة بإمكانية معرفة القيم من خلال تحليل مصطلحات

سعادة أو تعاسة ــ وهذه الحاسة تشبه حاسة الجمال أو قوة التفكير من حيث إنها متأصلة فى طبائع البشر، ولكنها تضعف بالإهمال وتقوي بالمران، وتنمو بالتربية الحسنة، وتذبل فى البيئة الفاسدة.

ــ (انظر؛ توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ــ نشأتها وتطورها، ط ٤، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٦م.، ص ٣٣٩).

(*) شافتسبيري؛ فيلسوف وسياسي انجليزي ولد فى لندن وتوفى فى نابولى بإيطاليا، يعتبر أحد ممثلي مذهب الحاسة الخلقية، واعتبر تلك الحاسة هي أساس أى حكم أخلاقى، ومن خلالها يستطيع أى فرد التمييز بين الحق والباطل. ومن أهم مؤلفاته : " رسالة فى الفضيلة والإستحقاق " An inquiry Concerning Virtue or Merit " (١٦٩٩ م) و " صفات البشر، الأعراف، الآراء، والأزمنة " Characteristics of Men, Manners, Opinions, Times " (١٧١١م)

- (Cp; Lacey, A.R : A Dictionary of Philosophy, ed3, London, 1996, Taylor&Francis E-Library, 2005, p.320).

(**) هاتشيسون؛ فيلسوف أخلاقى أيرلندى، عمل على تطوير فكرة الحاسة الخلقية للأحكام الخلقية والتى أخذها من شافتسبيرى، وأثرت نظريته في كل من : " أدم سميث " و " ديفيد هيوم ". ومن أهم مؤلفاته : " بحث عن أصل أفكارنا عن الجمال والفضيلة " (١٧٢٥م) "" An Inquiry into the Original of our Ideas of Beauty and Virtue " (١٧٢٥ م)، " ومقال عن الطبيعة وسلوك الانفعالات والعواطف " An Essay on The Nature and Conduct of The Passions and Affections " (١٧٢٨م).

- (Cp; Lacey, A.R : A Dictionary of Philosophy, Art: (F) , p.140.)

(***) بتلر؛ رجل دين وفيلسوف إنجليزي، اهتم بفلسفة الأخلاق وفلسفة الدين، وفكره الأخلاقى ظاهر فى مواعظه الخمسة عشر عام ١٧٢٦م، وكذلك كتابه " رسالة فى طبيعة الفضيلة "، أما فلسفته الدينية فتظهر فى كتابه " مثال الدين " عام ١٧٣٦م، وهذان الجانبان مترابطان بعضهما مع بعض، لأن الضمير ليس هو الفكرة الأساسية الأخلاقية فحسب، لكنه كذلك يكشف كشفًا عميقًا فى الواقع عن وجود الله وطبيعته.

- (Cp; Lacey, A.R :A Dictionary of Philosophy, Art: (B), p.38).

(***) مور؛ فيلسوف انجليزي بدأ مثاليًا ثم شاطر برتراند رسل مذهبه المضاد للذاتية وتأثر بفلسفة الألمانى برنتانو. عارض " مور " في كتابه " مبادئ الأخلاق (١٩٠٣م) المثالية الذاتية فى تحديدها لمفهوم القيمة، ودافع عن الطابع الموضوعي للخير والشر. وميز فى مقالته الشهيرة " دحض المثالية " (١٩٠٣ م) بين مضمون الوعي وموضوع الوعي، وأولى اهتمامًا كبيرًا بالعالم اليومي، وأكد فى مقال له " فى دفاع عن الحس المشترك " (١٩٢٥ م) أن الاعتقادات المستوحاة من الحس المشترك أولى بالتصديق من التوكيدات الميتافزيقية.

ــ (انظر؛ جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة، ط ٣، دار الطليعة، لبنان، ٢٠٠٦م.مادة : الجيم، ص٦٤٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيمة مثل " الخير " و "الشر"، وإستنتجوا أن هذه المصطلحات تشير إلى ما لا يمكن تعريفه Indefinable ومع ذلك لا يمكن إدراكه معرفيًا. (١)

٢. **المدرسة الثانية؛ " الحكم الإنفعالى Emotive Judgment** (*) " : ومن أبرز ممثلى هذا الإتجاه " ألفريد جولز آير Alfred Jules Ayer " (١٩١٠م ــ ١٩٨٩م) (*) و "تشارلز ستيفنسون " Charles Stevenson (١٩٠٨م - ١٩٧٩ م) (**) و " ريتشارد هير " (١٩١٩م - ٢٠٠٢ م) (***).

وتؤمن هذه المدرسة؛ بتحليل أحكام القيمة بهدف الوصول إلى نتيجة مفادها أنها عبارات ليست ذات معني معرفيًا، وهي إما أن تكون صادقة أو كاذبة. ولكنها بالأحرى عبارات انفعالية قادرة على التأثير فى الفعل الإنساني. (٢)

---

(١)Pepper, Stephen.C : The Source of Value , Pp. 18- 19.

(*) الانفعال Emotion هو؛ حالة نفسية ذات صفة وجدانية قوية مصحوبة بتغيرات فسيولوجية سريعة وبحركات تعبيرية كثيرًا ما تكون جلية وعنيفة. وينشأ الانفعال عادة من إعاقة فجائية لميول أو رغبات قوية أو عن إرضاء غير منتظر لهذه الميول والرغبات. والانفعال فى هذه الحالة يعني أنه غير ممكن دون صدمة.
ــ (انظر؛ مراد وهبه : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.مادة : الألف، ص ١١٠).

(**) آير؛ فيلسوف بريطانى، تمحورت أفكاره حول نقد الميتافيزيقا بمختلف فروعها كاللاهوت والجمال والأخلاق. حيث رأى أن الميتافيزيقا لا يمكن التأكد من حقيقتها من خلال التجربة. كما أنكر بديهية الأحكام المتعلقة بالماضى، وذهب إلى أنها ليست كبداهة الحاضر، لأننا لا نتمكن من الرجوع إلى الوراء للتيقن من صحة ما وقع فى الماضى، والنتيجة أننا لا يمكننا أن نثبت ذلك بطريقة علمية. إلا أنه أظهر بعض التراجع عن هذه النظرية في بعض التعديلات التي أجراها على كتبه فيما بعد. ومن أهم مؤلفاته : " اللغة، الصدق، والمنطق (1936) "، و" أسس المعرفة التجريبية (١٩٤٠م)".
ــ (فؤاد كامل (وآخرون): الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة : زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، ب.ت.مادة : الألف، ص ص ٩٢ - ٩٣).

(***) ستيفنسون؛ فيلسوف أمريكي معاصر، اشتهر بكتاباته عن تحليل اللغة والأخلاق، وشغل منصب أستاذ فى جامعة " يال Yale " من ١٩٣٩م ــ ١٩٤٦ م، وفى جامعة ميتشجان Michigan من ١٩٤٦م ــ ١٩٧٧م. درس فى انجلترا على يد " فتجنشتين " و " مور "، سعي إلي الدفاع عن المذهب الانفعالى فى الأخلاق. ومن أهم مؤلفاته : " المعني الانفعالي للأخلاق " The Emotive Meaning of Ethics (١٩٣٧م)، " الأخلاق واللغة " Ethics and Language (١٩٤٤م)
ــ (انظر؛ جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة، مادة : السين، ص ٣٦٢)

(***) ريتشارد هير؛ فيلسوف بريطانى، عمل فى جامعة أكسفورد، ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية، اُشتهر بكتاباته فى مجال الأخلاق والقيم، وعمل على تحليل العبارات والجُمل الأخلاقية، ومن أهم مؤلفاته : " لغة الأخلاق " (١٩٥٢م)، " الحرية والفكر " (١٩٦٣م)، " طريقة الأخلاق " (١٩٧٧م)
- (Cp; Lacey, A.R :A Dictionary of Philosophy, Art : (H), p.132).

(٢) Hart. L. Samuel : Axiology – Theory of Values, P.33.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد عارض " ستيفن بيبر " المدرسة الأولى ــ الحدسيين ــ حيث رأي أن حدوسهم المعرفية متناقضة، لأن مثل هذه الحدوس، حتي لو كانت حقيقية، فإنها ليست ذات تأثير مباشر فى السلوك الإنساني. وإنه مهما احتوت علي براهين وحجج، فإنها مستمدة من النظريات التجريبية التي ينكرونها بالضرورة. (٣)

وبالمثل؛ عارض "ستيفن بيبر" الإنفعاليين، حيث رأى اعتمادهم على أن تحليل عبارات وقضايا الجمل وحدها يؤدى إلى الزيف والضلال؛ فالجمل والقضايا فى حد ذاتها عبارة عن شيء مغاير تمامًا للفعل الذي يعتبر مجرد تعبير انفعالي، فالأولى ليست فعل للقيمة بالمعنى المتعارف عليه للكلمة، وليس بالمعني الذي تحمله القضية اللغوية من صورة انفعالية معبرة عن الفعل الأخلاقى. (٤)

ويتساءل " ستيفن بيبر " بعد ذلك : " هل يعرف الانفعالى مجال الأخلاق مثلما يعرف اللغوى ما الذي يقصده من وراء الجمل الآمرة أو السلوك الانفعالى الديناميكي الذي غالبا ما يوضح نفسه فى جمل آمرة من الصيغ اللغوية ؟ فإذا كانت الأولى، فإنه يجعل من علم الأخلاق مجرد فرع من علوم اللغة Linguistics، أى أن دراسة هذه الصور من الجمل ليس صادقًا ولا كاذبًا، ولكنه بفعله ذلك، لا يعرف كيف يستخدم مصطلح Ethics واهتمامه بالسلوك الإنساني الديناميكي، وإذا قَبِلّ الخيار الآخر وعَرّف موضوع الأخلاق كنمط من أنماط السلوك الإنفعالى المعبر عنها غالبًا فى إيماءات أخلاقية قادرًا علي تقديم توصيفات لهذه الحقائق وجملاً تقريريه، حقيقية او زائفة، فإنه حينئذ يتخلى عن الأهداف المميزة لمدرسته، والتى تُعتبر أحكام القيمة بالنسبة لها ليست حقيقية ولا زائفة ". (٣)

وخلاصة القول؛ إن القول بنسبية القيم ليس قولًا فصلًا؛ حيث إن أحكام القيم Values Judgments ــ فيما يبدو ــ ليست ذاتية خالصة ولا موضوعية صرفة، إن فيها عنصرًا ذاتيًا، ولكن مردها إلى صفة فى الموضوع توجب الحكم عليه بأنه حق أو خير أو جمال، ومن أجل هذا قيل إن أحكام القيمة بمعني من معانيها أحكام وصفية واقعية Factual ــ وهي التى تصف الأشياء كما هي فى الواقع، ولا تتعرض لتقويمها فى ضوء ما ينبغي أن يكون. (*) (١)

---

(٣) Pepper, Stephen.C : The Source of Value.,Pp.29-30.

(٤) Ibid,P.29.

(٣) Ibid.,Pp.29-30.

- (CP; Pepper, Stephen.C : Ethic, Appleton-Century –Crofts, New York,1960, P.285).

(*) والباحث يتفق مع هذا الرأى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ثانيًا) إشكالية تعريف القيمة :

يمكن القول بأن تعريف القيمة ــ وفقًا لما يراه " ستيفن بيبر " ــ يعد إشكالية تدور حول إمكانية الوصول إلى تعريف عام يشمل كل صور القيمة؛ فتعريف القيمة بحيث يشمل كل صورها أمر بالغ المشقة، وتتباين الإجابات المباشرة عن السؤال عن طبيعة القيمة أو عن تعريفها وفقًا لتباين الاتجاهات والنزعات التى تعالج مشكلة القيمة، فهناك من ينكر إمكان تعريفها وتحليلها إلى ما هو أبسط منها ــ مثل الوضعيون المناطقة(*) ــ، إلا إن أغلب الباحثين متفقون علي إمكان تعريفها وتحديد طبيعتها. (٢)

ومن بين هؤلاء الفلاسفة المتفقون حول إمكان تعريف القيمة " ستيفن بيبر "؛ وذلك اعتمادًا علي مبدأ التقويم، الذي يعمل على التمييز بين أنواع القيم وموضوعاتها، وبالتالى يعتبر تعريفًا عامًا للقيمة. " وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن خصائص موضوعات القيمة مثل الخيرية Goodness، فمن الشائع أن نتحدث اليوم عن التقويم بإعتباره حكمًا يستطيع الفرد من خلاله تصنيف الموضوعات أو الأفعال علي أسس ومعايير خاصة بالتقويم ". (٣)

وعلي الرغم من ذلك يمكن الجزم مع " أرسطو Aristotle (٣٨٤ق.م ــ ٣٢٢ق.م) بأنه لا يوجد تعريف يشمل الطبيعة الفردية كلها لأي فعل من الأفعال، لكنه يشمل الطبيعة العامة فقط، وهذا ما ينطبق علي أي تعريف من تعريفات القيمة. (٤) فيري أرسطو " أن

---

(١)توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص ٣٠٦.

(*) لقد اتفق " الوضعيون المناطقة Logical Positivism " ــ نشأت الوضعية المنطقية فى العشرينات من القرن الحالى فى جماعة فينا والتى كان من أبرز زعمائها رودلف كارناب وأوتو نويراث، اللذان كانا على علاقة وثيقة بجمعية برلين للفلسفة العلمية ــ علي رفض الميتافيزيقا التي هي محاولة إثبات كائنات أبعد من متناول الخبرة الممكنة. لذلك رفض الوضعيون المناطقة الأخلاق المتعالية، أو أية محاولة لإقامة عالم للقيم يعلو علي عالم الخبرة الممكنة، لأن القضايا التي تتكلم عن القيم تدخل في نطاق الميتافيزيقا المثالية، ومن ثم يجب رفضها. ولقد بني " الوضعيون المناطقة " رفضهم للميتافيزيقا – بالإضافة إلي ما تقدم – على أن قضاياها "لا معني لها"، حيث إن قضايا الميتافيزيقا ليست قضايا مرفوضة، لأنه لا يمكن اختبارها تجريبيًا، وإنما لأن قضاياها ليست مفهومة بطريقة بينة، بحيث يمكن الحكم بشأنها بالقبول أو بالرفض، بالصدق أو بالكذب.

ــ انظر في ذلك:

- (ألفريد جولس آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة ودراسة بهاء درويش، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ص ١١-١٣).

ــ (انظر كذلك؛ روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ص ٣٥٩).

(٢) Pepper, Stephen.C :Sources of Value, P.304.

(٣) J. O.Urmson : On Grading, Logic and Language, Ed. With an intro. By Anthony Flew, Oxford, Basil Blackwell, 1955, P,II.

(٤)Dewitt H.Parker, The Philosophy of Value, P. 29.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعريف هو قول مكان إسم، أو قول مكان قول، لأننا يمكننا أن نُعرف بعض الأشياء التي يُستدل عليها بقول، ويقول إن التعريف هو قول دال علي ماهية الشيء ". [١]

وبالإضافة الي ذلك رأي أرسطو أن تعريف الأشياء بكلمة واحدة ليس تعريفاً. وإنما هو أيضا أشبه بالتعريف، ولا يمكن أن يُقال علي هذه الصور بأنها تعريفات، ولكن أشبه بالتعريفات.[٢]

يتضح مما سبق أن المهمة الأساسية بالنسبة لفلسفة القيم تكمن في معرفة مفهومها؛ أي إعطاء مفهوم عام يشمل كل أنواع القيم، حيث إن نظرية القيمة تعبر عن نسق جرئ لا يمكن التصدي له دون الاشارة إلى ما فيه من تعقيد هائل، وهو يتطلب من الفيلسوف أن يدخل ميادين عديدة قد أدلي الباحثون فيها بدلوهم، حيث نري الفيلسوف يُدمج نتائجه، ويضيف أشياء وعلاقات فحسب. ويكون الفيلسوف في ذلك من أشد الناس وعيًا بصعوبة هذا العمل. [٣]

أما "ستيفن بيبر " فلم يرى بديلاً عن التعريفات الوصفية لتبرير أنواع القيم وموضوعاتها.

(أ) اعتماد " ستيفن بيبر " على التعريف الوصفي :

وبالنسبة لتعريف " ستيفن بيبر " فهو يقع ضمن ثلاثة أنواع :

- **النوع الأول** : التعريف الإسمي A nominal definition .
- **النوع الثاني** : التعريف التعادلي Equational definition.
- **النوع الثالث** : التعريف الوصفي Descriptive definition.

---

(١) Aristotle: Metaphysica, Second Edit, Translated into English under the Editorship of W.D.Roos, Vol. VIII, Oxford, At the Calerndon press,1960,PP. 7-8.

(٢) J.D.G. Evans. Aristotle's Concept of Dialectic, Cambridge University, Press, Cambridge, 1977, P.106.

(٣)رالف بارتون بيري: أفاق القيمة – دراسة نقدية للحضارة الإسلامية، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام، مراجعة محمد علي العريان، تقديم زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـــ النوع الأول؛ التعريف الإسمي A nominal definition [*] : ـــ

والتعريف الإسمي لا يعبر عن الحقائق، وإنما يفترض الحقائق، حيث يعتمد على مجموعة من الرموز Symbols تكون مساوية لمجموعة رمزية أخري، وبالتالى يمكن تبادلهما معًا. إذن فالعلاقة عبارة عن علاقة بين الرموز ولا تتعلق بأمور خارج نطاق هذه الرموز. [١]

ويمثل " ستيفن بيبر " هذا التعريف بالآتي :

" مساوٍ لـــ " Is Equated With

S ——————————————————— M N

" **يتكافئ مع** "is equationally defined by

أو

S = MN

وهنا تبعًا للتعريف الإسمي، يتم تعريف الرمز (S) من خلال الرمزين (M) و (N) معًا، حيث يتم تعريف رمز برمز آخر مثله. [٢]

ـــ النوع الثاني؛ التعريف التعادلي Equational definition [*]:

فهو يشير إلى شيء ما بهدف تفسير وشرح المعني ولكنه لا يُعد أفضل مما سبق. وبالرغم من أنه يشير للحقائق، إلا أنه يعد غير ملائم، حيث يفتقر إلى أى وصف شرطي للحقيقة المشار إليها. ونظرًا لعدم وجود هذا الوصف الشرطي، فإن هذا التعريف لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كامل، حيث إن المسئول عن الحقائق قدر الإمكان ليس سوي إلا المعيار التقويمي. [٣]

(*) الإسمي لغة؛ منسوب إلى الإسم. واصطلاحًا؛ هو ما يرجع إلى اللفظ والأسماء لا إلى الأشياء نفسها. يُقال تعريف إسمي أي متعلق بمعانى الألفاظ ويسميه المدرسيون Definitio quid nominis.

ـــ (انظر؛ مراد وهبه : المعجم الفلسفي، مادة : الألف، ص ٦٢).

(١)Pepper, Stephen.C : The Descriptive Definition, The Jouurnal Of Philosophy, Vol.43, No.2 , 1946, P.29.

(٢)Ibid, P.30.

(*) التعادلي أو المعادل؛ هو بوجهه عام المساواة بين حدود متغيرة، تعبر عن شرط يجب أن تحققه المتغيرات.

ـــ (أنظر؛ مراد وهبه : المعجم الفلسفي، مادة : الميم، ص ٦٠٣).

(٣) Pepper, Stephen.C :Sources of Value, Pp.278-279.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ ويمثل " ستيفن بيبر " هذا التعريف بالآتي :

Indicaates " يشير "

S ——————————————————— O

Is Ostensively defined by " معرف من خلال "

أو

O←S [١]

ـ النوع الثالث؛ التعريف الوصفي **Descriptive definition** :

فهو النوع الهام والذي يعتمد عليه " ستيفن بيبر " بالإضافة إلى العلوم التجريبية. فيلاحظ فى أى بحث تجريبي أن المصطلحات الأساسية تحوي دلائل ذات صلة ويمكن التحقق من صحة هذه الدلائل، وهذا ما جعل " ستيفن بيبر " يري أن : " لغة الواجب أو الإلزام Obligation تصبح ضرورية بشرط ارتباطها بلغة الهدف والاختيار أو الانتقاء، أى أن الإنسان يختار أن يفعل ما يفعله لأنه هو ما هو عليه، كما أن النظريات الأخلاقية التى تستبعد أى إعتبار للطبيعة البشرية لا ترقي إلى مستوي النظريات الأخلاقية ".

ومن ثم يتضح؛ محاولة " ستيفن بيبر " للوصول إلى تعريف دقيق للقيمة، وذلك من خلال إستخدام الوصف؛ حيث يحاول ربط بعض المعاني المجردة بالوقائع الخارجية ذات الصلة لتحقيق هذا الهدف. ويقول في ذلك:

" إن التعريف الوصفي يشترط تعريف الرمز بواسطة مجموعة من الرموز الأخري التى تصدق بصدق مجال الحقائق. فالرمز مُعرّف بواسطة وصف حقيقي للحقائق، والتعبير هو التعريف لأنه يكمن فى شرط اعتبار معني الرمز، ولكنه أيضا يشترط أن ما يعنيه الرمز يجب أن يكون صدقًا وصفيًا للحقائق. ومن ثم فمثل هذا التعريف صادقًا من ناحية وصف الحقائق".[٢]

لذا يتكون التعريف الوصفي من أجزاء مترابطة ، أي أنه يحوي علاقة ثلاثية بين " الرمز، الوصف، والإشارة إلى الواقع ". فيشير الرمز (S) ــ في بعض الاستخدامات ــ إلي الحقائق (F) والتي تتميز بالوصف (D). وترتبط الأجزاء هذه جيدًا بحيث يشترط في

(١)Pepper, Stephen.C : The Descriptive Definition, Pp.30-31.
(٢)Pepper, Stephen.C : The Source of Value P.280.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعريف أن يفسر الدلاله الواقعية لمعني الرمز. كما يوجد شرط آخر وهو أن يكون الوصف صادقًا بالنسبة للبيئة المناسبة لمجال الوقائع أو يعبر عنه بشكل صحيح. وهكذا يتم التحقق من الوصف من خلال مجال الوقائع، وأي تغيير فى الوصف لجعله متسقًا مع مجال الوقائع سوف يغير فى معني الرمز. (١)

ومن ثم تتمثل أهمية التعريف الوصفي للقيم فى كونه يدل على المعيار الكيفي الذي يميز القيم عن الأنواع الأخرى من الحقائق. وتبعًا لذلك فإنه يعمل أيضا كمعيار للحكم التقويمي Evaluative Judgment. (٢) وكذلك يحوي التعريف الوصفي للقيم؛ تصورات يمكن أن توظف كميًا فى علم الأخلاق وفي علم الجمال، ووفقًا " لستيفن بيبر " فإن الأحكام التى يمكن التحقق منها تجريبيًا ممكنة فى مجال القيم كما هي ممكنة في مجال الحقائق الفيزيقية. (٣)

(١)Pepper, Stephen.C : The Descriptive Definition, Pp.30-31.
(٢)Ibid., P.281.
(٣)Ibid., P.282.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعقيب...

سنحاول الإجابة عن التساؤل الذي ذكرناه في تمهيد هذا البحث والمتعلق بالسؤال التالي: **ما الإشكاليات الناتجة عن تعريف " ستيفن كوبرن بيبر " للقيمة ؟، وما طبيعة القيمة عنده ؟.**

وقد تبين للباحث الآتي :

١. يري الباحث أن الإشكالية الرئيسة عند " ستيفن بيبر " هو اعتماده على التعريف الوصفي، ورأي أن ذلك التعريف يعُد تعريفًا قاطعًا، مما يتنافي مع حقيقة منهج القيم.

فالمنهج الوصفي ما هو إلا تقرير لما هو كائن بالفعل، أي أنه يعتمد على الحواس التى ترصد الظاهرة قيد البحث من جميع جوانبها، والوصف بهذا المعني يعتبر أحد المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية والإجتماعية على حد سواء.(١)

أما حقيقة القيم؛ فهي تتعرض للبحث فى المثل العليا Ideals أو القيم المطلقة Ultimate Values وهي " الحق والخير والجمال " من حيث هي كذلك لا باعتبارها وسائل إلى تحقيق غايات فهي بمثابة علم من العلوم المعيارية Normative تبحث فيما ينبغي أن يكون، وليست علومًا وضعية تبحث فيما هو كائن. (٢)

إن إستخدام " ستيفن بيبر " التعريف الوصفي للقيمة من أجل الإجابة عن هذا السؤال " ما الذي ينبغي عليّ أن أفعله ؟ " فإنه يساوي بينه وبين سؤال آخر وهو " كم عدد الطرق التي ينبغي أن أسلكها من أجل الوصول إلى النمسا Austin ؟ قد يوجد أكثر من خمس وسبعين طريقًا للوصول إلى النمسا. هذه الإجابة قد تكون صادقة منطقيًا، بعكس الإجابة عن السؤال الأخلاقى السابق ماذا ينبغي أن أفعل ؟ فالإجابة هنا تعتبر إلزامية، ولا نستطيع التعبير عنها من خلال التعريف الوصفي. (٣)

إن عملية اخضاع القيم الي المنهج الوصفي ــ تبعًا للمفهوم البرجماتي السابق ــ قد يؤدي إلى كثير من الفوضي، وذلك بسبب اختلاف منهج الاثنين عن بعضهما البعض.

---

(١) إبراهيم محمد تركي : دراسات فى مناهج البحث العلمي، ط ١، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ١٤٣.

(٢) توفيق الطويل : أسس الفلسفة، ص ص ٧١ – ٧٢.

(٣) Patrick H., Nowell - Smith : Ethics, Harmondsworth : Penquin Books Ltd, 1954, Pp. 83-85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولخير دليل على هذا الاجبار هو ما نراه ونشاهده حولنا من تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بفرض هيمنتها علي العالم بأسره؛ بل تعمل علي فرض قيمها ومفاهيمها الخاصة لكل شيء كالديموقراطية والإرهاب ودول الجوار ونظريات المصلحة... إلخ حتي وصل العالم إلي ما وصل إليه الآن من فوضي تُثير العجب من حيث انتشار الحروب والصراعات المتأججة في كل مكان، تلك الصراعات التي تقف وراءها الولايات المتحدة تحت اسم القيم الإنسانية من أجل الزود عنها.

وبحق هذه هي الفلسفة العملية التي يقول أصحابها إنهم وضعوها ليعالجوا بها مشكلات الديمقراطية الأمريكية الصناعية، والتي جعلوها مقياس الحقائق ومعيار القيم والمبادئ، فكيف وضعوا حلولاً للمشاكل الموجودة وهم فى الوقت نفسه اعتبروا القيم والحق والخير مجرد سلعة مطروحة فى الأسواق، قيمتها لا تُقّوم فى ذاتها بل فى الثمن الذي يُدفع فيها فعلا ؛ فالحق فيما يقول " جيمس " كورقة النقد الزائفة تظل صالحة للتعامل حتي يثبت زيفها ! ولم يجد أصحاب البراجماتية غضاضة في النظر إلي الحق أو الخير كما ينظرون إلي السلعة التى تُطرح فى الأسواق، هذه هي العقلية الأمريكية فى الفلسفة وفى الأخلاق وفى السياسة وفى كل مجال !! وموقف البراجماتيين من المبادئ الخلقية والمعتقدات الدينية يجعلها مجرد وهم خادع وضلال باطل، فالاعتقاد بالله اذا كان مرجعه إلى تقدير أثره فى حياة صاحبه دون اكتراث بحقيقة الإيمان من الناحية الموضوعية الخالصة، كان هذا الاعتقاد احتيالا وضلالا. (١)

٢. **ان معني اعتماد " ستيفن بيبر " على التعريف الوصفي؛ فإنه بمثابة اقرار ضمني بموضوعية القيم، وهذا ما أكده فى سياق آخر بأنها تشبه القانون العلمي،فيقول أن: " الطبيعة هي مرشدنا Nature Is Our Guide** ". (٣)

ــ **ومن مساوئ الموضوعية** : أننا ينبغي أن نخضع لها بالضرورة. لأن لها قوة عارمة تدفع خياراتنا جانبًا، وتتغلب علي إرادتنا، مما يعني أننا لا نبذل أى جهد لإبداع أى عمل ــ علي سبيل المثال ــ عمل فني أو قصيدة شعرية أو رسم أي لوحة فنية أو كتابة قصة ما. (٣)

---

(١) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ــ نشأتها وتطورها، ص ص ٣٠١ــ ٣٠٣

(٣) Pepper, Stephen.C : Ethics, P.336.

(٣)Risieri frondizi: What Is Value?, Open Court Publishing Compant, La Salle , Illinois, 1971. P. 20.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالموضوعية بذلك تلغي دور الذات في تقويم أي عمل من الأعمال. وإذا اعتبرنا القيم ذات طابع موضوعي، دون أن نضع في الاعتبار أي عنصر يفوق الموضوع نفسه، فإن معيار السلوك سيكون مجردًا من الجانب الشخصي. (١)

فضلًا عن أن الاهتمام بالجانب الموضوعي يعتبر زيفًا وتضليلاً؛ ذلك أن الاهتمامات والمصالح ليست عمياء، أو عديمة الإتجاه، أو منعزلة. إن التعبير عنها يكمن في موضوعات معينة، وتتجه نحو الموضوعات، ويمكن التعبير عنها بطريقة موضوعية. وفي الوقت نفسه توجد الذات التي ينصب من خلالها الاهتمام علي الموضوع. فعندما أقول: " أنا أستمتع بهذا الشراب " أو " أقدر هذه الموسيقي " أو " أحب هذا الشخص " أو " معجب بهذا الفعل "، فإن الاهتمام هنا يشير إلي موضوع هو (الشراب ــ الموسيقي ــ الشخص ــ الفعل)، وبدون هذه الموضوعات تكون الاهتمامات تجريدات غير واقعية Unreal Abstractions. (٢)

وبصفة عامة، ليست القيم ذاتية خالصة ولا موضوعية خالصة، وانما علائقية Relational. والنظرية العلائقية في القيمة هي التي تُشير إلي أن القيم تكمن في هذا المركب من (الذات، الموضوع، والعلاقة بينهما). وذلك لأنه لا بد من وجود ما نقومه (موضوع التقويم) وكذلك لا بد من وجود الذات التي تُقوم. ونظراً لأن أي تغير في أحدهما يؤثر بالضرورة في الآخر، فإننا نُولي كليهما القدر نفسه من الأهمية. ونظرًا لأن علاقة الذات بالموضوع ــ رغم وجود الموضوع والذات نفسها ــ قد تتباين من حين لآخر أو من مكان لآخر وفقا لدرجة الوضوح، أو وفقا لدرجة تباين غموض الموضوع وخواصه المميزة، وتبعا لحالات الذات النفسية والعقلية، فإن ذلك يؤثر في الإنتباه والتركيز ودرجة الاهتمام. ويعتبر " رالف بارتون بيري Ralph Barton Perry (١٨٧٦م ــ ١٩٥٧م) (**) " من المعاصرين الذين اهتموا بهذا النوع من القيم العلائقية.

---

(١)Ibid, P.123.

(٢)رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٧٤.

(**) يُعد " رالف بارتون بيري " من أبرز أعضاء الواقعية الأمريكية الجديدة بما قدمه من كتابات في الفلسفة الواقعية، وفي الفلسفة الاجتماعية وفلسفة الحضارة التي طابق بينها وبين آفاق القيم، وهو في كل هذه المجالات من أهم نُقاد الفلسفة المثالية، ومكانته في الفكر الأمريكي لا تُنكر خاصة بالنظر إلي إسهاماته في القيم. وقد ولد بيري في (٣ من يوليو ١٨٧٦م) والتحق بجامعة برنستون، ورغم أنه كان متجهًا منذ البداية إلي دراسة اللاهوت، إذ كان مشبعًا بعاطفة دينية قوية، إلا أنه تحول إلي الفلسفة حين التحق بهارفارد، وقد حصل علي الماجستير في عام (١٨٧٩ م)، وعلي الدكتوراه في عام (١٨٨٩م) من جامعة هارفارد. وقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فليست للقيمة معني إلا إذا دلت علي علاقة، وتكمن العلاقة فى عملية الربط بين شىء وشىء آخر. لذا فإن القيمة ليست موضوعية خالصة ولا ذاتية خالصة، بل هي حلقة تصل الشخص بالموضوع، وتشير إلي اهتمام فرد أو أكثر من الناس بموضوع معين. فتشير القيمة إلي هذا الجانب الرفيع من الحياة الإنسانية. (١)

شُغل منذ البداية بالرد علي المثالية، وكان ذلك عام (١٩١٠م) فى مقالته : " دحض رويس للواقعية والتعددية Royce's a Refutation of Realism and Pluralism "، وله العديد من المؤلفات منها "آفاق القيم Realms of Values، والنظرية العامة في القيمة General Theory of Value .

- (انظر؛ أحمد عبد الحليم عطية : القيم في فلسفة رالف بارتون بيري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ص ١٠ – ١٢).

(١)رمضان الصباغ : الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص ٧٧.

(انظر كذلك ؛ عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، ط١، طلاسدار للترجمة والنشر، سوريا، ١٩٨٦م، ص ١٧٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والراجع

(أولاً) المصادر الأصلية " لستيفن كوبرن بيبر ":

1. Pepper, Stephen.C : Ethic, Appleton-Century –Crofts, New York,1960.
2. ———————— :The Descriptive Definitions, The Journal of Philosophy, Vol. 43, No. 2, 1946, Pp. 29-36.
3. ————————: The Source of Value , Berkeley and Angeles, U.S.A, 1958.

(ثانيًا) مصادر أجنبية ثانوية :

4. Aristotle: Metaphysica, Second Edition, Translated into English under the Editorship of W. D. Roos , Vol. VIII, At the Calerndon press, Oxford,1960.
4. Hume. D : An Enquiry Concerning the Principles of Morals, Oxford University Press, London, 1902.

(ثالثًا) المراجع الأجنبية :

6. Dewitt H. Parker: The Philosophy of Values, Ann Arbor: the University of Michigan , U.S.A, 1957.
7. Douglas N. Morgan, In Memory of De Witt Henry Parker, the journal of Aesthetics and Art Criticism, Vol. 8, No. 3 (Mar., 1950) Pp. 195 – 196.
8. Hart. L. Samuel: Axiology- Theory of Values, Philosophy and Phenomenological Research, Vol.32, No.1 (Sep.,1971).
9. J.D.G. Evans. Aristotle's Concept of Dialectic, Cambridge University, Press, Cambridge, 1977.
10. J. O.Urmson : On Grading, Logic and Language, Ed. With an intro. By Anthony Flew, Oxford, Basil Blackwell, 1955
11. Patrick H., Nowell - Smith : Ethics, Harmondsworth : Penquin Books Ltd, 1954.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

12. Risieri Frandzi : What is Value?, Open Court Publishing Compant, La Salle , Illinois, 1971.

13. Schiller, F. C. S : Value (In) Encyclopedia Of Religion and Ethics, Vol.12 ,(Ed) by: James Hastings, London , 1934.

(رابعًا) قواميس أجنبية بلغة أجنبية :

14. John R. Shook (eds): The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol.4, Thoemmes Continuum, 2005.

15. Lacey, A.R : A Dictionary of Philosophy, ed3,London, 1996,Taylor&Francis E-Library, 2005.

(خامسًا) المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة للعربية :

١٦. ألفريد جولس آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة ودراسة بهاء درويش، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

١٧. رالف بارتون بيري: آفاق القيمة – دراسة نقدية للحضارة الإسلامية، ترجمة عبد المحسن عاطف سلام، مراجعة محمد علي العريان، تقديم زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٨. هنترميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة : فؤاد زكريا، ط ٢، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.

(سادسًا) المراجع العربية :

١٩. إبراهيم مصطفي إبراهيم : فى فلسفة العلوم، ط ١،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

٢٠. الربيع ميمون: نظرية القيمة في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

٢١. توفيق الطويل : أسس الفلسفة، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٢. توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ـ نشاتها وتطورها، ط ٤، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٦م.

٢٣. زكريا إبراهيم : مبادئ الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢٤. رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٢٥. ـــــــــــــ : النظرية الجمالية السياقية عند ستيفن بيبر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

٢٦. صلاح قنصوه: "نظرية القيمة في الفكر المعاصر"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٨١م.

٢٧. عادل العوا : العمدة فى فلسفة القيم، ط١، طلاسدار للترجمة والنشر، سوريا، ١٩٨٦م.

٢٨. عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦م.

(سابعًا) الموسوعات الفلسفية العربية :

٢٩. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الفلسفية، جـــ١، دار ابن زيدون، بيروت :، ب.ت.

٣٠. روزنتال ويودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم و جورج طرابيشي، ط٦، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٣١. فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد صادق : الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة : زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، ب.ت.

(ثامنًا) المعاجم الفلسفية العربية :

٣٢. جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة، ط ٣، دار الطليعة، لبنان، ٢٠٠٦م.

٣٣. مراد وهبه : المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com